

شرح الأسماء الحسنى

[164] عن علته لم يكن شيئا أصلا يا أحب من كل حبيب أما أنه أحب من كل حبيب لاهله فواضح وقد مر أنه أحب لكل كما هو مقتضى الإطلاق فلان كل كمال وافصال لما كان عكس كماله وافصاله ومحبوبيتها باعتبار وجهها إلى الله رجح محبوبيتها إلى محبوبيته فإليه يرجع عواقب الثنا كما ورد عن المعصوم ولكن لا يستشعر بذلك إلا الخواص والتفاضل والإيمان والكفر بذلك الاستشعار أو لأنه أحب لهم أجلا أو فطرة كما أن الجاهل يعلم أن العالم خير منه والغضبان يصدق بأن الحليم أشرف منه والبخيل بأن الجواد أفضل منه فهم يحبون الصفات الحميدة فطرة وإن أحبوا تلك الرزايل بالغريزة الثانية يا أبصر من كل بصير يا أخبر من كل خير يا أشرف من كل شريف يا أرفع من كل رفيع يا أغنى من كل غنى يا أقوى من كل قوي يا أجود من كل جواد يا أرثف من كل رؤف سبحانه الخ وهذه التفضيلات إنما هي باعتبار أن كل ما هي في المفضل عليه من الكمالات إنما هي منه وبحوله وقوته مع أنه لا مفضل عليه عند اضمحلال المجازات وظهور الحقيقة كما قيل وما الناس في التمثال إلا كثلجة * وانت بها الماء الذي هو نابع * ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه * ويوضع حكم الماء والأمر واقع والمراد بالتمثال أنه من باب معرفة ذي الالاية بالالاية وهو يناسب قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض فهذه الالاية أيضا من باب معرفة ذي الالاية بالالاية يا غالبا غير مغلوب يا صانعا غير مصنوع يا خالقا غير مخلوق يا مالكا غير مملوك يا قاهرا غير مقهور يا رافعا غير مرفوع يا حافظا غير محفوظ يا ناصرا غير منصور مضمون هذه الأسماء أنه تعالى لما كان قاهرا فوق عباده فالغالب منهم مغلوبه تعالى والصانع منهم مصنوعه وهكذا في البواقي بخلافه تعالى إذ لا يعلو شيء فانه تام وفوق التمام بل رب غالب منهم مغلوب الهواء ومالك منهم مملوك النفس وقاهر منهم مقهور هما بل ربما يكونون مغلوبى المغلوب ومملوكى المملوك ومقهورى المقهور ومحفوظى المحفوظ لان ذلك المغلوب أخرج ذلك الغالب من حالته الطبيعية وأثر فيه وتأثر هو منه وذلك المملوك ملك بال